المسرح وسيلة لتصوير ثقافة المدينة مسرحية المحبرة كارلوس مونييث أنموذجاً
Theatre is a way to portray the culture of the city -Carlos moneith's inked play as a model

بخيرة الحسين عيسي أحمد
جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم، الجزائر، كلية الآداب واللغات والفنون، قسم فنون العرض
مخبر الجماليات البصرية في الممارسات الفنية الجزائرية، جامعة مستغانم / الجزائر.
Faculty of Fine Arts, Department of Musical Arts
Basra University Name of the first researcher: Bakhira Al-Hussein
Name of the second researcher: Issa Ahmed
Abdelhamid Ben Badis Mostaganem University, Algeria, Faculty of Letters, Languages and Arts, Department of Performing Arts
Laboratory of Visual Aesthetics in Algerian Art Practices, Mostaganem University. Alegria
elhossein.bekhira.etu@univ-mosta.dz

المستخلص:

ارتبطَ الخطابُ المسرحيُّ في مضامينه بتصوير الحياة الاجتماعيَّة والثقافيَّة والسياسيَّة، إذ أنَّ الفنَّ في أصله محاكاة للواقع المعيش، والمسرحُ بطبيعَتِه الفنيَّة نزَّاعٌ إلى اتجاه سُلوك التَّطهير والتَّغيير من خلال تسليط الضَّوء على القَضَايا المُتَنَوِّعَة، فلا غَرو بعد ذلك أنْ يكونَ المسرحُ بواجِهَتِه العُمرانية وقِيمَتِه الثَّقافية قيمةً جَمالية تَنضَافُ إلى ثقافة المدينة، وثقافةُ المدينة بكلِّ أبعَادها الاجتماعيَّة والسياسيَّة والإداريَّة مليئةٌ بالعيوب والمشَاكل التي حاولَ الإنسان على مرِّ العصور حلَّها والتَّخلص منها، فَقَضِية البيروقراطية في الإدارة مَثلا شَكَّلَت محورًا هَامًّا ومَادَّةً دَسِمَة لكثيرٍ من الإبدَاعَات الفَنيَّة عُمُومًا وفي المسرح الاجتماعيّ خصوصًا، ومن هذا المنطلق جاءت مُداخلتنا هذه لتكشِفَ جَانِبًا مُهِمًّا من تسليط المسرح الضَّوءَ على جُملةٍ من مشاكل الإدارة الحديثة في ثقافة المدينة، وذلك عند الكاتب المسرحي الإسباني «كارلوس مونييس» في مسرحيته «المحبرة»، لتبرز بذلك دور المسرح العميق في تبني مثل هذه القضايا المدنية ومحاولة معالجتها بجميع الأدوات الفنية والدرامية.

الكلمات المفتاحية:
المسرح- المجتمع والإدارة – ثقافة المدينة – مسرحية المحبرة – كارلوس مونييث

Abstract:

The theatrical discourse in its contents was associated with the depiction of social, cultural and political life, as art in its origin is a simulation of living reality, and the theater by its artistic nature conflict to the direction of the behavior of cleansing and change through highlighting diverse issues, it is no doubt then that the theater has its architectural facade and its cultural value aesthetic value From this point of view, this intervention came to reveal an important aspect of the theater highlighting a number of problems of modern management in the culture of the city, when the Spanish playwright "Carlos moneith " in his play "the ink",

thus highlighting the role of the theater deep in adopting such civil issues and trying to address them with all artistic and dramatic tools.

Keywords:
Theater-community and management - culture of the city – the ink play-Carlos moneith

١. مقدمة:

يعتبر الفنُّ الرابع ذلك الفنَّ الذي يعكس الصورة الاجتماعية والسياسية والثقافية للنسيج الاجتماعي، وذلك أنَّ مضامين الخطاب المسرحي تَتَّخِذُ في الغالب القيم الاجتماعية والواقع المعيش مادة دسمة في عملية التركيب الفنِّي، لاسيما إذا تعلق الأمر بالتيار الواقعي الدرامي، فإنَّ هذا التيار الدرامي مبني على محاكاة الواقع بكل تفاصيله بعيدا عن الشعرية والخيال والتصوير الفني النَّائي عن تصورات الأذهان، وإذا ما عرَّج بنا القول حول ثقافة المدينة فينبغي علينا الإشارة إلى أنَّ هذا المركب الإضافي يراد منه تلك البنية المعرفة والاجتماعية والاقتصادية وجميع الممارسات الحضارية التي ترتبط بكيان الإنسان المدني المتحضر، فهي تلك العلاقة الحاصلة بين الإنسان ومَدَنِيَّته وثقافته.

حاول المسرح الواقعي تصوير ثقافة المدينة منذ تشكل العلاقات المدنية الثقافية، إذ لم يجد كتَّابُ المسرح أي مهرب من الوقوع في عوارض هذه الثقافة، فطبيعة المستوى الخطابي الفني وطبيعة الجمهور المتلقي تفرض حتمية خوض الكاتب المسرحي في هذه الثقافة إرغاما لا انفكاك عنه، فلا غرو إذن بعد ذلك أن تتجسد ملامح الثقافة المدنية في جل الأعمال المسرحية الواقعية.

ومن هذا المنطلق جاءت مداخلتنا هذه لتكشف ذلك الأثر الذي تمارسه ثقافة المدينة على الخطاب المسرحي الواقعي، وكيف يكون المسرح وسيلة لتصوير واقع الثقافة المَدَنية بكل مُكوِّناتها وأطيافها، وذلك عند الكاتب الإسباني «كارلوس مونييث» في مسرحية المحبرة التي حاول الكاتب فيها تصوير ثقافة الإدارة المدنية ومشكلاتها البيروقراطية.

وترجع أهمية هذه الدراسة في كونها تعالج أهم الأبعاد المطروحة بين الفنِّ الرابع وبين القضايا الثقافية المتعلقة بالمدينة، وكونها تحاول معالجة جدلية رقي الإنسان المعاصر في الوسط الحضاري والمدني، كما أنَّها تسلِّطُ الضوء على حضور المسرح الواقعي كوسيلة لمعالجة الممارسات الثقافية والحضارية في المدينة.

وقد اعتمدنا في ورقتنا البحثية هذه على المنهج الوصفي التحليلي في تقرير المسائل المتعلقة بالثقافة المدنية وعلاقتها بالمسرح، وكذلك استدنا على المنهج الاجتماعي في تحليل الظواهر التي حملها الخطاب المسرحي في مسرحية المحبرة.

٢. البعد الاجتماعي للمسرح :

لقد شقَّ الإبداع المسرحي طريقه في الأبعاد الاجتماعية منذ فترة مبكرة من تاريخ الإنسان الثقافي، "ولمَّا صار الإنسان على أهبة الاستعداد لأنْ يعترف للفنِّ بطابعه الأيديولوجي وذلك في إطار نظرية صريحة، وأن يقر بالفكرة القائلة بأنَّ الفنَّ يقوم على خدمة أغراض عملية، إمَّا بطريق شعوري وإمَّا بطريق غير لا شعوري، وأنَّه يأخذ في ذلك سبيل الدعاية الصريحة أو المقنعة" (هاوزر، ٢٠٠٨، ص ١١) ، ويعود الفنُّ في حقيقته التي يحاول بها تغيير الحركات والتفاعلات الاجتماعية إلى المحاكاة التي عرفها قديما، فهي الباعث الحثيث لدفع عجلة المسار الفني وتقويم أهدافه الرسالية والجمالية على صعيد واحد.

لقد اتَّصل الخطاب المسرحي الحداثيُّ بتجربة التغريب وتحطيم الدوافع التي تحثُّ على ممارستها طبيعة الرؤية الفنية، لذلك يمكننا أن نفهم العمل الفني على أنَّه ظاهرة تتصف بصفة الحدوث المتزامن مع تشكل الأحداث وتغير المتغيرات، وكلُّ هذا لا يكون إلا بصورة مستمرة ودائمة، فالخطاب المسرحي الحداثي عرف كثيرا من الأحداث العالمية،

ISSN Paper (1994 -697X) Online (2706 – 722X) http://www.misan-jas.com https://www.iasj.net/iasj/journal/212/issues

كالحروب والاستعمار والاستبداد والجنون والسطوة وغير ذلك، فكان لذلك الأمر أبلغ الوقع وأشد التأثير على شريحة الجمهور المتلقي لهذا الفنِ الثَّائر، ومثالا على ذلك ما ظهر من تيار الطليعة أو ما أطلق عليه بمسرح اللامعقول، كمحاولة لرؤية الفنِ الدرامي بإسقاط نظرية فلسفية جديدة تدور حول قضية انعدام الثقة بين حقيقة الوجود وحقيقة الإنسان الذي ما عاد يفهم سمو القيم المعنوية للروح الإنسانية، فكان ما كان من تجني المجانين على أرواح الملايين من البشر إبان الحرب العالمية الثانية.

لقد اتجه المسرح في عصرنا هذا مباشرة نحو الاتجاه السوسيولوجي، وذلك أنَّه اتخذ الأبعاد الاجتماعية وحكم القيم الأخلاقية محورا ترتكز عليه الدراما الجديدة، "ففي الدراما الجديدة ليست العواطف وحدها هي التي تدخل ساحة الصراع، بل الأيديولوجيات وحتَّى النظرة للعالم كذلك، وبما أنَّ الناس الذين ينحدرون من أوضاع مختلفة يصطدمون ببعضهم، فإنَّ الأحكام التقويمية تفعل مفعولها بالضرورة على نحو ذي أهمية على الأقل، من خلال الطبائع الفردية المحضة، إنَّ وجهات النظر الأخلاقية لهاملت وكلوديوس وحتَّى لريتشارد وريتشموند متماثلة في الأساس، فكل رجل من هؤلاء الرجال موطَّد العزم على ما يريد فعله، ويحسُّ بالخزي إذا ما تصرَّف تصرُّفا ينافي تلك الوجهة الأخلاقية" (بنتلي، ١٩٨٦، ص ٤١٣) .

3. المسرح وثقافة المدينة :

طالما كان المسرح منذ ظهوره المرآة العاكسة لثقافة المدينة التي يعيش فيها الكاتب المسرحي، إذ لا شكَّ أنَّ الكاتب المسرحي نزَّاعٌ إلى ثقافته التي ورثها من محيطه المدني، ولا شك أن تكون المشاكل الاجتماعية والثقافية على ساحة مدينته أرضا خصبة ليستخرج منها ما شاء من قضايا عمله المسرحي، وقد عرف تاريخ المسرح على مرّ عصوره كثيرا من هذه الانعكاسات، فمثلا إذا ما تأملنا مسرح الكاتب الإنجليزي شكسبير نجد أنَّ ثقافة المدينة قد شغلت جزءا مهمًّا في القضايا الاجتماعية والنفسية والسياسية التي طرحها، فمثلا في مسرحية تاجر البندقية نجد ذلك الحضور القوي لمعالم مدينة البندقية وكيف كان حال التجار فيها وكيف كان العنصر اليهودي يحترف المعاملات الربوية، ولا شك أنَّ كل هذه الأبعاد الثقافية لمدينة البندقية تشكل صورة عامة عن احتواء المسرح لثقافة المدينة، والسبب في انعكاس ثقافة المدينة على رؤية كتَّاب المسرح هو أنَّ بناء الأحداث الدرامية يستند على تصور الحياة والحوادث كما هي في واقعها الحقيقي، فالمسرحُ المعاصرُ اليوم مفتوحةٌ أبوابهُ على ثقافة المدينة ومعطياتها.

لا يعرف المسرح تطورا إلا بتطور المجتمع فكريا ومدنيا وثقافيا وحضاريا، كما أنَّ صلة الثقافة المَدَنية بالمسرح أوثق من أن توصف أو تُحَدَّ، ففي سوسيولوجيا المسرح يعتبر الكاتب فاعلا اجتماعيا ينطلق من بواعثه الثقافية ليستَلَّ روح الحياة الحضارية المحيطة به فيضعها في قوالب مسرحية، فالتفاعل الاجتماعي والثقافي والفنِّي هو الذي يجعل الفنَّان يستقي من معين مجتمعه وثقافة مدينته، وهو الذي يصور به معالم الشخصيات الدرامية وسلوكاتها، ويبني به تلك الكتلة الدرامية من أحداث وحوارات ومسارات حكائية وسردية، ليدفع الجمهور المتلقي في نهاية المطاف وبعد الخروج من قاعة العرض المسرحي إلى الإقرار بواقعه ومطابقة حاله حذو النعل بالنعل، وثقافة المدينة تختلف وتتنوع حسب طبيعة مجالات الحياة الحديثة، فمن ثقافة الإدارة إلى ثقافة العلاقة الجدلية بين المواطن والحوكمة، إلى ثقافات متعددة ومختلفة، كلُّها تسير وفق ذلك الإطار الخاص بها، ولا يملك الفن المسرحي بعد كلِّ هذا إلا أن يقع على هذه الثقافة ويدرجها ضمن ذلك القالب الفني والدورة الإبداعية حتى يكون من أهم الوثائق الشاهدة على ثقافة العصر والحاضر.

4. مسرح كارلوس مونييث:

يرجع مسرح «كارلوس مونييث» إلى مجموعة كتاب المسرح التي عرفت باسم جيل الواقعية، "وهم أولئك الكتاب الذين يمثلون الدفعة الأولى من كتاب المسرح الجديد الذي تدور موضوعاته بشكل أساسي حول المجتمع وثقافته ومشاكله وأزماته، لذلك نجد أن الموضوعات التي يعالجها هؤلاء الكتاب في أعمالهم المسرحية تدور حول الظلم الاجتماعي واستغلال الإنسان لأخيه الإنسان والظروف غير الآدمية التي تعيش فيها الطبقة المتوسطة بكل ما تعني هذه الظروف من

ISSN Paper (1994 -697X) Online (2706 – 722X) http://www.misan-jas.com https://www.iasj.net/iasj/journal/212/issues

بؤس وحزن ونفاق اجتماعي وأخلاقي" (مونييث، ١٩٩٧، ص ٩) ، ونتيجة لهذا فغالبا ما نجد أنَّ لغة العنف تطغى على مثل هذه الأعمال وهي بذلك لغة مباشرة تحمل في دلالاتها الخطابية تلك السمات البارزة للتحدي والجرأة والدفاع عن الرأي، أما شخصية البطل في هذه المسرحيات فهي دائما ما تكون بطولة جماعية أو بطولة فردية بشرط أن يكون البطل في هذه الحالة شاهد على العصر وسواء كانت البطولة فردية أو جماعية فشخصية البطل في الحالتين هي الضحية، "لأن المؤلف يضعها في طريق مسدود، وبالتالي تتعرض للقهر والهوان من قبل مجتمع مختل ومعتوه تسيطر عليه في البيروقراطية الإدارية والنظم السياسية والاجتماعية والاقتصادية الفاسدة" (نفسه، ص ١٠).

يمكننا تقسيم مسرح كارلوس مونييث إلى فترتين أساسيتين، حيث نجد أنَّ أعماله في الفترة الأولى تتخذ ذلك المسار الواقعي في الاتجاه الدرامي، وأبرز ما كتب في هذه الفترة مسرحية الصرصور ومسرحية ثمن الأحلام، أمَّا في الفترة الثانية فنجد أنَّ أعماله الدرامية تنحو نحو الاتجاه التعبيري الجديد، وقد كتب في هذه المرحلة مسرحية المحبرة، ومسرحية عزف منفرد على آلة الساكسفون، ومسرحية صعوبة التعامل مع العجائز، "ونلاحظ وجود عامل مشترك بين أعمال هاتين الفترتين وهو أنَّها جميعا تدور في إطار مسرحيات النقد الاجتماعي، لذلك يمكن اعتبار كارلوس مونييث من أفضل كتاب المسرح الاجتماعي الإسباني في فترة ما بعد الحرب الأهلية الإسبانية بعد أنطونيو بويرو باييخو" (نفسه، ص ١٠).

٥. مسرحيَّة المحبرة:

تعتبر مسرحية المحبرة من أهم أعمال الكاتب الإسباني كارلوس مونييث، وذلك أنَّها تتربع على هرم أعماله من الناحية الفنية ومن ناحية النقد الاجتماعي، وفي هذه المسرحية نجد أنَّ المؤلف قد شغل مساحة تعبيرية كبيرة إذ يصور لنا ثقافة المدينة بأدق تفاصيلها بما فيها مشكلة البيروقراطية، ويصور لنا أيضا تلك العلاقة الحاصلة بين الموظف الفقير المتمثل في شخصية «كروك» وبين سطوة النظام البيروقراطي في الإدارة التي يعمل فيها، غير أنَّ هذا الموظف الفقير لم يكن من النوع الذي يخضع الخضوع التام لمثل هذه الممارسات البغيضة، بل هو ذلك الشخص القوي القادر على التخلص والمراوغة والمقاومة، وبذلك يحاول كارلوس مونييث أن يقول لنا أنَّ النظام البيروقراطي نظام ظالم مجحف بأدق تفاصيله وحذافيره، فحتى مقاومة كروك باءت بالفشل والخضوع في نهاية المطاف، فما أبعد قوة الشخصية عن مجابهة هذا النظام الفاسد.

كروك هو بطل المسرحية وهو ذلك الموظف الفقير، لهذا يحاول الكاتب أن يصور لنا حياته بطريقة غير مألوفة في القوالب الدرامية المعروفة، "إذ تظهر في هذه المسرحية شخصية البيروقراطي وعالمه الذي لا يعرف معنى الإنسانية أو الذي هو عدو للإنسانية، لأنَّ العلاقة بين كروك ورؤسائه في العمل هي نفس العلاقة بين ما هو إنساني وما هو غير إنساني، فالبطل ليس مجرد موظف فقط وإنما هو ذلك المخلوق الإنساني الذي يراد قمعه والتنكيل به دون الاعتراف بآدميته" (نفسه، ص١٤)، غير أن شخصية كروك تتمكن بأساليب أرادها المؤلف أنْ تقف بالمرصاد لهذا النظام البيروقراطي الفاسد، وتثبت للحياة المَدنية أنَّ الإنسان قادر على مواجهة هذه الأساليب القذرة بكل جرأة وشجاعة إذا صحَّ منه العزم وصَدَقَ منه اليقين، لهذا كان على كروك في نظر الكاتب أن يحاول إخفاء جميع الأبعاد الإنسانية مع هذا الوحش الذي لا يدع وديعا إلا التهمه، حتَّى يستطيع بذلك فرض وجوده في عالم البيروقراطية، وهنا يضعنا الكاتب كرلوس مونييث أمام مفارقة القيم والمبادئ، فحقيقة التجرد من الإنسانية لمجابهة لقمة العيش عند كروك ليس بالأمر الهين على ما اعتاده كروك في حياته كموظف يتمتع بروح الإنسانية النقية، فلهذا فرض عليه ذلك التَجَرُّدُ من قِيَمِهِ حالة من التناقض النفسي، ولم يجد بُدًّا من سلوك أسلوب الفضيحة في العمل حتَّى يُطرَدَ من عمله، اذ يعد " عدم تحديد هوية المكان المستخدم في النص ويخضع لحركة الانتقال التي تعيشها الشخصية بالتالي فان المكان متعدد ومرتبط بحركة الشخصية من فضاء مكاني الى آخر حسب مقتضى سير الشخصية في الحكاية " (مصطفى ، ٢٠١٦ ، ص ١٩٧).

وأمام حَومَة هذا الصِّراع الدرامي بين كروك وبين وحش البيروقراطية وبين مصير لقمة العيش والحياة تزداد حِدَّة الصِّراع، وتمتزج المشاعر الإنسانية بالقوى المتعارضة والقاسية، ولا يجد كروك في نهاية المطاف إلا أن يطلب من صديقه المسالم أن يقتله وأن لا يكون الخلاص إلا على يد صديقه، وبطبيعة الحال سوف يرفض صديق كروك أن يقتله،

ISSN Paper (1994 -697X) Online (2706 – 722X) http://www.misan-jas.com https://www.iasj.net/iasj/journal/212/issues

ومع ذلك يتم القبض عليه بمحاولة قتل كروك، بينما يتم تهديد كروك بإيداعه المَصَحَّة النفسية إذا لم يَنْهَ نفسه عن الإصرار في مواجهة هذا السلطة البيروقراطية الباغية، ويصور لنا الكاتب كارلوس كونييث مشهد عودة كروك إلى بيته بعد أن قام ببيع جثَّته مسبقًا إلى كليَّة الطب حتى يتيح لهم عملية الاستفادة من تشريحها في دروسهم، وكأنَّ جسده هو آخر ما بقي منه كميراث يرثه من بعده أولاده وزوجته الخائنة، وأمام هذا المشهد القاسي والحقيقة المُرَّة للحياة، يقوم كروك بالانتقام من نفسه ومن المجتمع ومن القيم الإنسانية وكلِّ ما يَتَّصِل بِهَا بأن يلقي نفسه منتحرًا أمام سِكَّة القطار فيُمَزِّقه القطار إربا إربا، فلا طلاب الطبِّ استفادوا من جَسَدِه ولا هو عَرف معنى الحياة الكريمة في بلده، وبهذا يختم المؤلف عمله الدرامي بهذا بالمشهد الأخير، وهو مشهد يتصف بذلك النَّوع الساخر من حقيقة الوجود والحياة، ويتصف بتلك الشفقة التي تحاول الاتصال بقيم الإنسان السامية، وهذا المشهد هو مشهد شفقة ركاب القطار على جثة كروك، لأنَّ ما استقر في عُرف الإنسان الاجتماعي هو الشفقة على الضحية دائما دون أن ينظر أي أحد إلى نفسه لعلَّه هو الجاني على هذه الضحية، ويمضي القطار في رحلته مستمرا، فالحياة لا بدَّ لها أن تستمر، والقضاء والقدر سار في حياة الناس مَهمَا حَدَث ومَهما كَان، ويبقى كروك وحيدا مع صديقه في نهاية المطاف في عالم آخر يَعِجُّ بالسَّعادة والحرية لمثلهما ولأي شخص يتمتع بالروح الإنسانية السامية في نظر الكاتب كارلوس مونييث.

٦. شخصيَّات مسرحيَّة المحبرة:

إن رسم ملامح الشخصيات وسلوكاتها في مسرحية المحبرة عرف طابعا واقعيا لدرجة كبيرة، وقد أشار الكاتب في المسرحية بتقنية «الإرشادات المسرحية» إلى معطيات كلِّ شخصية حتى يستوفي القارئ لهذا العمل على جميع المعلومات الكافية لتصور طبيعة الشخصية التي تقف أمامه، وتتداخل رؤية الكاتب السينوغرافية للعمل المسرحي مع رؤيته لتحديد معالم الشخصيات فنراه يصف المشهد الأول مثلا بقوله: "فمثلا مكتب رجل الأعمال لا بدَّ له أن يليق برجل أعمال وغرفة نوم كروك في أحد البنسيونات هي غرفة نوم أي بنسيون يأوي إليه رجل بائس، وذلك يجب أن يرتدي الأشخاص ملابس مناسبة للمكانة الاجتماعية التي يُمَثِّلونها، وإذا كان هناك وصف لأي منهم على مدار المسرحية فهندامهم يجب أن يغنيهم عن أي تعريف آخر، أمَّا بقية الشخصيات فهي ليست بحاجة إلى وصف، إذ تكفي عباراتهم للتعريف بيهم جيِّدا" (نفسه، ص٣٢)، والكاتب بهذه الإرشادات يحاول أن يقدِّم الوصف الكافي لملامح أي شخصية نراها في هذه المسرحية.

- **شخصية كروك:** بطل المسرحية ولا يمثل أي أبعاد مختلفة أبدا، إنَّما تتسم شخصيته بالنقاء الإنساني والروح السامية، مُجدٌ في عمله، يحب الجمال ويعشق الحياة الملونة بالزهور، يعرف كيف يعبر عن ذاته، يظهر دائما في حالة إعياء، ضعيف البنية بسبب حالته الاجتماعية المتدهورة، دائم التمرد والجرأة، متفرد يأبى تقليد الناس.
- **شخصية الصديق:** غير محددة العمر، يرتدي ملابس بالية، عاش حرمانا في حياته، أهم ما يميزه صفة الوفاء، ومن هذه الصفة اتخذه الكاتب رفيق كروك في نهاية المسرحية إلى السعادة الأبدية.
- **شخصية فريدا:** امرأة نظيفة وأنيقة، مليئة بمشاعر الأنوثة، لذلك تبرر موقف الخيانة مع المدرس بغياب زوجها عنها، تبدو فريدا عنيفة بسبب حالة كروك البائسة غير أنها تبدي نوعا من اللَّطافة والعطف عليه عندما يأتيها بالهدايا.
- **شخصية فرانك:** رئيس شؤون العاملين، يصفه الكاتب بأنَّه شخصية عديمة الذوق ومليئة بالكراهية، ذو قسوة وتسلط وغباء قصير القامة شاحب اللون، يكاد يميل لون وجهه إلى الاصفرار.
- **شخصية ليفي:** رئيس الشؤون الإدارية، متسلط مغرور، فاسد وذو قسوة مثل فرانك تماما.
- **شخصية مدير الشركة:** شخصية كريهة كفرانك وليفي، قاس جدا مع كروك، متسلط غبي.
- **شخصية الموظفون الثلاثة:** يظهرون منا لو كانوا ثلاثة أشقاء، فضلا عن أن ثلاثتهم يرتدون زيا موحدًا وشارة على جيوبهم، يتميز الثلاثة بالشراسة، ويعتدون على كروك عدوانا وحشيا وكأنهم أدوات طيعة تنفذ الأوامر دون أن تفكر أو تبصر كما وصفهم كاتب المسرحية.

ISSN Paper (1994 -697X) Online (2706 – 722X) http://www.misan-jas.com https://www.iasj.net/iasj/journal/212/issues

- **شخصية مدرس القرية:** شاب مفتول العضلات يتعامل مع فريدا زوجة كروك بقسوة، أما تعامله مع كروك فبلطف ولين وأدب.
- **شخصية الساعي:** شخصية حقيرة يستغل ضعف كروك لكي يمارس عليه السلطة والطغيان.
- **شخصية السيدة سلامب:** مالكة البنسيون، تتعاطف مع كروك أحيانا لكنَّها تبحث عن إيجار غرفة كروك قبل أي إيجار آخر.
- **شخصية الحارس:** رجل يؤدي واجبه بإخلاص وتفانٍ، لا يأخذ بالأفعال وإنَّما بالمظاهر، يقع كثيرا في مواقف غريبة بسبب سلوكه الغبي.

٧. البناء الدرامي في مسرحيَّة المحبرة:

لا يكفي نقد العمل الأدبي والفنِّي أو تضمينه إحدى الأبعاد الاجتماعية إلا أنْ يكون هذا العمل سائرًا وفق الأصول الفنيَّة الموضوعة له، وللمسرح من هذه القضية النصيب الأوفر، فلا ينبغي أن يتضمن العمل بُعدًا اجتماعيا أو ثقافيا وهو بمعزل عن أصوله الفنيَّة، وهذه الأصول الفنيَّة هي ما يطلق عليه في الفن المسرحي بالبناء الدرامي، فالبناء الدراميّ هو عبارة عن علاقة مترابطة بين عدَّة عناصر درامية تتمثل في الحوار والشخصيات والحدث والزمان والمكان، ولفهم الخطاب المسرحي حق الفهم، واستكشاف مضامينه وأهدافه وأبعاده يجب النظر في ترابط هذه العناصر الدرامية، لهذا كان من المحتم علينا الخوض في معرفة البناء الدرامي لمسرحية المحبرة، فالشكوى " بمفهومهت حالة شعورية تنتاب الانسان الذي يجد نفسه امام ظلم او عذاب او سقام " (جاسم، ٢٠١٤، ص ٥)

تنقسم مسرحية المحبرة إلى فصلين وخاتمة وهمية، وكل فصل ينقسم إلى أربعة مشاهد، وهذا تقسيم مناسب جدا لعمل مسرحي كهذا، حاول الكاتب كارلوس أن يعد هذا النَّص المسرحي إلى نص رُكْحِيٍّ قابل للعرض بجميع التقنيات الكتابية التي ضمنها خلال النص، ككثرة الإرشادات المسرحية وتوجيه القارئ والمخرج إلى تصور الشخصيات تصورا عميقا وفهم أبعادها النفسية والاجتماعية والفيزيولوجية، أمَّا الحوار الدرامي فيشكل الجزء الأكبر من بنية هذه المسرحية على عادة البناء المسرحي المتعارف عليه، ويتوزع هذا الحوار عبر الشخصية المحورية شخصية كروك البطل وبين خصومه أو أصدقائه، كما نرى أنَّ هذا الحوار تتخلَّله كثير من الإرشادات والتوجيهات والتفسيرات والسرد الحكائي لكي تزيد وضوحا وبيانا للمتلقي، ومثالا على ذلك ما وقع في المشهد الأول من الفصل الأول:

"كروك: نعم الذي ينقل له قيل وقال الشركة!

الساعي: بل الذي يعمل على احترام اللائحة وسيادتك دائم مخالفتها، وكم هو سيء تجاهل اللائحة! والإنسان منا هو الذي يعرض نفسه للسوء ، انتهى الأمر! فلتبعد هذا من على المكتب فورا!

(ينظر إليه كروك بجبن ويأخذ الورود من الزهرية ويحفظها في الدرج ثم يخفي الزهرية، أمَّا الساعي فيبتسم مزهوا بانتصاره وينصرف، يبدأ كروك في العمل مرة أخرى بنفس حماس البداية وتعبيرات وجهه جامده، بعد وقت لا بأس به يتوقف عن العمل ويفكر وهو مهموم وفجأة يتكلم بسرعة موجها كلامه إلى المكان الذي كان يشغله الساعي كما لو كان موجودا فعلا).

كروك: ومن تكون حتى تأمرني برفع الزهور من على مكتبي؟ (يخرج الزهور ويضعها كما كانت)، إنَّني إنسان ولي أنف! ونحن في فصل الربيع وتوجد زهور! ويمكنني أنْ أشُّمها لأنَّها تفوح في السَّماء! معي بطاقة تحقيق شخصية! والأنوف خلقت لسبب ما والفم أيضا والقلب! والسعادة! (يشم الزهور بعمق ويغني بصوت حزين) "(نفسه، ص٣٥)

يأخذ الحوار الدرامي في المسرحية بعدًا جماليا حين يحاول الولوج إلى القيم القبيحة والجملية وتوظيف ثنائية المتقابلات والمتناقضات، وكذلك حين يصور الصراع بين القوى المتعارضة وبين النقاء الروحي وبين النفوس القبيحة،

ISSN Paper (1994 -697X) Online (2706 – 722X) http://www.misan-jas.com https://www.iasj.net/iasj/journal/212/issues

وحين يتجسس إلى دخائل النفوس ويفرج عن مكنوناتها، فالحوار في مسرحية المحبرة شكَّل توازنا كبيرا بين الشخصيات والصراع والأحداث، هذا بالضبط ما يجعل العمل الفني المسرحي مترابطا وقادرا على شدِّ انتباه المتلقي، ويدلنا على هذا التماسك بين هذه العناصر الدرامية هذا الحوار مثلا الذي يشير إلى الصراع المحتدم بين كروك وبين القوى الفاسدة البيروقراطية:

"الثلاثة: (يغنون) تحيا الحياة! السعيدة البهيجة! تحيا الحياة! البهيجة السعيدة!

(يختفون من الجانب الآخر وليفي يضع بعض الأشياء في حقيبته)

كروك: هل أستطيع أن أغيب عن العمل هذا المساء؟

فرانك: تستطيع، نعم تستطيع ولكنك تعرف العاقبة، الغياب بسبب المرض ممنوع، وكذلك ممنوع بسبب العجز أو الوفاة أو وفاة أحد الوالدين، حاول أن تصلح من نفسك، إلى اللقاء.

(يصل ليفي إلى جانب فرانك ويخرج الاثنان معا، يتهامسان، يتهاوى كروك على المقعد الموجود بجانب مكتبه، ترتفع نغمة الموسيقى، يرتجف، إنَّه محموم بلا شك).

كروك: أغيب... لا أغيب... أغيب ولا أغيب... (يأتي بحركة تعبر عن الإرهاق ويخلع معطفه) سآكل هنا. لن أغيب أبدا، أبدا، (يخرج قطعة خبز صغيرة من جيب المعطف ثم مطواة من جيب الجاكت، يشق الخبز من المنتصف ليصنع ساندويتشا، يترك الخبز" (نفسه، ص٦٢).

أما الأحداث الدرامية في مسرحية المحبرة فتدور كلها حول علاقة كروك برؤسائه في العمل، وعلاقته بزوجته فريدا، وعلاقته بالصديق، فأما علاقته الأولى فهي تصادم وصراع، وأما الثانية فهي تأخذ الصراع تارة وتأخذ الحب والعطف تارة أخرى، وأما علاقته الثالثة بالصديق فهي علاقة حب وود وإخاء، وإذا ما أردنا أن نفصل الأحداث الدرامية على تقسيم الفصول والمشاهد فإنَّنا نجدها كالآتي:

في الفصل الأول نجد كروك يتحاور مع ساعي الشركة التي يعمل بها وخلال هذا الحوار يقوم الساعي بتوبيخ كروك على مخالفته للوائح، ثم يتدخل فرانك رئيس شؤون العاملين ويوبخ كروك بسبب عدم الانضباط ويلتزم كروك حينها الصمت، ويواصل كروك حديثه مع الصديق عن مشكلة العثور على شقة حتى يتمكن من استقدام أسرته من القرية لكنَّ فرانك يطرد الصديق من مكتب كروك ويحتدم النقاش بين كروك وفرانك ثم يتناقش كروك مع ليفي الذي يرفض منحه مكافأة مالية مثل بقية زملائه في الشركة، ثم ينتقل المشهد إلى كروك والصديق في مكتب رجل الأعمال حين يطلب كروك من هذا الرجل شقة، فواجهه بالرفض لكنه يعده بتوفير عمل له في الفترة المسائية لتحسين دخل، وبعد هذا تبلغ صاحبة البنسيون كروك وصديقه بأن طبيب الشركة جاء لتوقيع الكشف الطبي على كروك أثناء غيابهما، ينتقل بنا مشهد آخر حين نجد كروك والصديق يتحدثان عن الطفولة السعيدة والحياة البائسة التي يعيشها كروك، ثم تصل فريدا زوجة كروك وتوبخه بسبب غيابه عن القرية وتقصيره في أداء وجباته كزوج وكأب ، ثم تحكي له قصة تحرش المدرس بها، وبعدها تصل رسالة من إدارة الشركة وهو ما يجعل كروك يقرر التوجه إلى الشركة في الحال، وعندما يصل إلى الشركة يبلغه المدير بأن قرارا سيصدر في اليوم التالي بشأنه، وبعدها يعود حديث فريدا وكروك أمام الجميع عن مشكلة المدرس، وتعود فريدا أدراجها إلى القرية، ثم يتوسل كروك إلى المدير لكي يبلغه بمضمون القرار، لأنه شك في أن الشركة ستفصله من العمل، ولكن الموظفون الثلاثة يستخدمون القوة مع كروك لكي يغادر الشركة وينصرف، وفي نهاية الفصل يختتم الكاتب بالمدير وفرانك وليفي وهو يشربون الخمر ويحتفلون بانتصارهم على كروك.

ISSN Paper (1994 -697X) Online (2706 – 722X) http://www.misan-jas.com https://www.iasj.net/iasj/journal/212/issues

وفي الفصل الثاني تتصاعد الأحداث مرة أخرى حين يذهب الموظفون الثلاثة إلى كروك في البنسيون ويبلغونه بقرار الفصل، لكن كروك يأبى أن يوقع على إشعار استلام القرار ولكن الموظفين الثلاثة يرغمونه بالقوة على التوقيع، وعندها يخرج كروك باحثا عن صديقه للذهاب إلى رجل الأعمال الذي وعده بإيجاد عمل مناسب له، وفي المشهد الثاني يلتقي كروك برجل الأعمال في مكتبه ويعلم منه قرار رفضه في هذا العمل الجديد، ويختم المشهد بطلب رجل الأعمال من سكرتيرته البحث في المعجم عن معنى كلمة الربيع، أمَّا في المشهد الثالث فيخبر كروك صديقه عن رغبته في الموت ويلح عليه بأن يقتله إلا أنَّ صديقه يأبى ذلك ويقول له أنَّ أخلاقه لا تسمح له بارتكاب هذا الجرم العظيم، ويدور بينهما حوار طويل حول جدلية قتل الإنسان لأخيه الإنسان، وبعدها يصل حارس المنتزه ويلقي القبض على الصديق، ويقف كروك حينها مندهشا حيرانا من وقع الظلم الذي يتعرض له ولا يستطيع رده بأي حال من الأحوال، أمَّا في المشهد الرابع فيعود كروك إلى بيته في القرية ويتناقش مع فريدا زوجته التي تأمره بالنوم في مخزن القش، إلا أنَّه يبادرها ببعض الهدايا التي اشتراها لها ولأولاده بعد أن باع حق الانتفاع بجثته بعد وفاته إلى كلية الطب، وعندها تعطف عليه فريدا وتعبر عن إشفاقها الجديد عليه وعلى حاله، يصل المدرس حسب الخطة السابقة التي رسمتها فريدا مع المدرس والتي تحاول فيها استفزاز الاثنين كي يشتبكا معا، فيقرر كروك الخروج من المنزل ويتوجه إلى السكة الحديدية ويلقي بنفسه عليها منتحرا منتقما من نفسه ومن المجتمع الذي ظلمه.

أمَّا الخاتمة الوهمية التي رسمها المؤلف فنرى فيها اقتراب جميع شخصيات المسرحية من جسد كروك المرمي على سكة القطار وكل أحد منهم يحاول إسعافه بطريقته الخاصة وعلامات الشفقة والذهول بادية على وجوههم، وعندها يتدخل صديقه العزيز ويتوسل إليهم أن يتركوه وشأنه لأنَّه مات فيصعد الجميع إلى القطار ويوقظ الصديق كروك ثم يظهر البحر عن كثب فيضحك كروك وصديقه ويتوجهان إلى البحر، وعليها ملامح السعادة والبهجة وكأنَّ قد تخلصا من عنت الحياة ومن شقائها.

وبالنسبة لوحدتي الزمان والمكان فإنَّ الكاتب كارلوس مونييث قد استطاع أن يحافظ على هاتين الوحدتين في البناء الدرامي لهذه المسرحيَّة، فنجد المكان مقسما بين الشركة والبنسيون والقرية والحديقة، أما الزمان فيختلف مرة بين الصباح والمساء والليل، وبأي حال من الأحوال لم يكن تركيز الكاتب كارلوس على وحدتي الزمان والمكان بذلك الاهتمام الكبير، وهكذا إذن نرى أنَّ مسرحية المحبرة تتركب من بناء درامي وبناء فني محكم يتنوع بين الحوار والصراع والأحداث والزمان والمكان والشخصيات.

٨. تمثلات ثقافة المدينة في مسرحية المحبرة:

تعتبر مسرحية المحبرة وثيقة شاهدة على ثقافة المدينة، وذلك أن أحداث المسرحية واقعية في قلب المدينة الإسبانية المعاصرة، فكروك عبارة عن موظف في شركة تتكون من مدير ومن رئيس شؤون الإدارة ورئيس شؤون العاملين ومن حارس، وهذه العناصر عبارة عن مركبات الإدارة الحديثة، أما عن مشاكل البيروقراطية التي واجهها كروك فهي إحدى مشاكل المدينة المعاصرة والتي ما زالت تتخبط في خضمها المدن، ونجد في هذه المسرحية الكثير من المرافق المدنية كالحانة والبنسيون والمدرسة وموقف القطار وغيره من معالم المدينة، فالفضاء الدرامي الذي أقام عليه الكاتب مسرحيته مدني بامتياز، وثقافة المدينة في هذا الفضاء ضاربة متغلغلة، لهذا يمكننا اعتبار هذه المسرحية صورة عامة نقرأ من خلالها ثقافة المدن الحديثة، كما أن في ثنايا هذا النص تظهر ملامح ثقافة الإنسان المعاصر وتظهر المشاعر الإنسانية والمشاعر الخبيثة الفاسدة من أجل حظوظ المدينة ومكاسبها المادية اذ " يحتل مفهوم مركز التحكم أهمية كبيرة في تحديد سلوك الفرد فهو من المفاهيم التي تدخل في تركيب الشخصية " (مزعل، ٢٠٠٨، ص ٧٧).

نستطيع معرفة الهرم الإداري في الشركة التي يعمل فيها كروك من خلال هذه المسرحية، وهذا الهرم يبدأ من رأسه السيد مدير الشركة ثم يتدرج إلى رئيس شؤون العاملين فرانك ثم إلى رئيس الشؤون الإدارية ليفي ثم إلى الساعي والموظفين الثلاثة ثم إلى كروك الموظف البسيط، كما أنَّنا نستشف من خلال حوارات المسرحية قضية المكافأة التي

ISSN Paper (1994 -697X) Online (2706 – 722X) http://www.misan-jas.com https://www.iasj.net/iasj/journal/212/issues

يستحقها كروك نظير عمله وتعبه والتي لم يأخذها ظلما من السيد ليفي، وكذلك نستشف من هذه المسرحية الحانات التي يرتادها كروك وصديقه وكذلك الحانات الفخمة التي يرتادها مدير الشركة وليفي وفرانك، كما أنَّ المسرحية طرحت أيضا مشكلة الإيجار والعوائق المحيطة بها في ثقافة المدينة حين بحث كروك عن شقة للإيجار بغية استقدام عائلته فلم يستطع إيجاد أي غرفة في المدينة التي يعمل بها، ويوضح لنا الكاتب أيضا بوصفه الدقيق للباس الشخصيات وحركاتهم وعقلياتهم مشكلة البيروقراطية الإدارية التي استعصت على عالم المدن الحضاري إلى ساعتنا هذه، كما يجرنا الكاتب إلى تصوير شقاء الموظف البسيط وأنَّ حياته البائسة هذه سوف تنعكس حتى على حياته الزوجية، إذ رأينا كيف خانت فريدا زوجها كروك نتيجة للظروف البائسة التي تعيشها معه، ويصور لنا الكاتب أيضا في المسرحية ساحة المنتزه "المشهد يصور المنتزه، أريكة وشجرة وبقية خشبة المسرح خالية" (نفسه، ص١١٥)، ويصور لنا أيضا سكة القطار والأحداث الواقعة فيها عندما انتحر كروك وألقى بنفسه على السكة، فهذه الأوصاف كلها دلالات لمعالم ولثقافة تتميز بها المدن الحديثة دون سواها، فالمسرحية بهذا البعد عبارة عن صورة ووسيلة يمكن من خلالها معرفة ثقافة المدينة بأدق تفاصيلها وبجميع عيوبها ومحاسنها.

٩. نتائج البحث:

ختاما وبعد الخوض في مسرحية المحبرة لكارلوس مونييث، والكشف عن أهم تمثُّلات ثقافة المدينة في هذا الخطاب المسرحي، توصلنا إلى النتائج التالية:

- المسرح ظاهرة فنية اجتماعية وحضارية، فعلاقة المسرح بالمجتمع علاقة وثيقة حيث أنَّ البعد الاجتماعي وجميع المتغيرات التي تقع من خلاله يمكن تصويرها عبر المساحة الفنية التي يشغلها الخطاب المسرحي، فغالبا ما يحاول المسرح طرح موضوعات تعكس قضايا المجتمع المعاصرة كالقضايا الواقعية الاجتماعية أو السياسية أو الثقافية.
- طالما كان المسرح منذ ظهوره المرآة العاكسة لثقافة المدينة التي يعيش فيها الكاتب المسرحي، إذ لا شكَّ أنَّ الكاتب المسرحي نزَّاعٌ إلى ثقافته التي ورثها من محيطه المدني، ولا شك أن تكون المشاكل الاجتماعية والثقافية على ساحة مدينته أرضا خصبة ليستخرج منها ما شاء من قضايا عمله المسرحي، وقد عرف تاريخ المسرح على مرِّ عصوره كثيرا من هذه الانعكاسات.
- يعتبر مسرح الكاتب الإسباني كارلوس مونييث من أهم المسارح التي عالجت الواقع الاجتماعي محاولة بذلك تصوير ثقافة الحياة المدنية ومشكلاتها الحضارية على جميع الأصعدة، وذلك في جميع أعماله كمسرحية الصرصور ومسرحية المحبرة ومسرحية ثمن الأحلام وغيرها.
- تعتبر مسرحية المحبرة من أهم أعمال الكاتب الإسباني كارلوس مونييث، وذلك أنَّها تحتل مكانة فنية عالية على جميع أعماله من الناحية الفنية ومن ناحية النقد الاجتماعي، وفي هذه المسرحية نجد أنَّ المؤلف قد شغل مساحة تعبيرية كبيرة إذ يصور لنا ثقافة المدينة بأدق تفاصيلها بما فيها مشكلة البيروقراطية، ويصور لنا أيضا تلك العلاقة الحاصلة بين الموظف الفقير المتمثل في شخصية «كروك» وبين سطوة النظام البيروقراطي في الإدارة التي يعمل فيها.
- استطاع كرلوس مونييث أن يحكم البناء الدرامي في مسرحية المحبرة، وهذا ما نتج عنه تلك الرؤية الواضحة لمضامينه وأهدافه، فالحوار الدرامي والصراع والأحداث المتسلسلة والزمان والمكان كلها عناصر درامية ترتبط بالبناء الدرامي لهذه المسرحية، ويمكننا القول أنَّه أجاد إحكام هذه العناصر والتحامها ببعضها البعض لتشكل بذلك وضوح القصد عند الجمهور المتلقي.
- تتمثل ملامح ثقافة المدينة في مسرحية المحبرة في الوصف الدقيق للإدارة الحديثة المعاصرة، وفي وجود العناصر الحضارية كالحانات والفنادق والمشاكل البيروقراطية والمنتزهات ومحطات القطار وغيرها من

ISSN Paper (1994 -697X) Online (2706 – 722X) http://www.misan-jas.com https://www.iasj.net/iasj/journal/212/issues

العناصر التي لا يمكن وجودها إلا في الثقافة المدنية، وبذلك تكون مسرحية المحبرة وثيقة شاهدة على أنَّ المسرح ما هو إلا صورة عاكسة للواقع الثقافي في المدينة.

٧. قائمة المصادر والمراجع:

١. آرنولد هاوزر، فلسفة تاريخ الفن، ترجمة رمزي عبده جرجس، مراجعة زكي نجيب محمود، المركز القومي للترجمة، جمهورية مصر العربية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م.
٢. إريك بينتلي، نظرية المسرح الحديث، ترجمة يوسف عبد المسيح ثروت، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، الطبعة الثانية، ١٩٨٦م.
٣. المحبرة، كارلوس مونييث، ترجمة وتقديم السيد سهيم، المجلس الأعلى للثقافة، مطبعة الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة مصر، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.
4. 10 – Jasim, Mohamad Abd-Alruza. Misan Journal of Academic Studies. Vol. 13, Issue 24. 2014.
5. 10 – Mizaeel, Faidel Abd-Alzuhra. Misan Journal of Academic Studies. Vol. 6, Issue 12. 2008.
6. Mustafa, Jalal. Misan Journal of Academic Studies. Vol12, Issue 24, 2016.

ISSN Paper (1994 -697X) Online (2706 – 722X) http://www.misan-jas.com https://www.iasj.net/iasj/journal/212/issues